

البطانة والملأ



«تحدث القرآن كثيراً عن الملأ وبطانة السوء ودورهم في صنع القرار وإدارة المواقف، وجلب المشاكل والأزمات، وعزل القيادات عن المساحات التي يجب أن تتفاعل معها.. ووضع الحواجز، وتغيير الحقائق والتحريض على الآخرين، وتقليب الأمور على غير وجهها..»

والملأ كما عُرِّف في اللغة هو: (الملأ: جماعة يجتمعون على رأي فيملأون العيون رواء ومنظراً، والنفوس بهاء وجلالاً... ومالاته: عاونته، وصرت من ملئه، أي جمعه، نحو شايعته، أي صرت من شيعته..)[1].

(ويقال ملأه على الأمر: ساعده وشايعه.. والملأ: الجماعة وأشراف القوم وسراتهم.. ويقال: ما كان الأمر عن ملأ منا: عن مشاورة..)[2].

وعرفت البطانة بأزهارها: (.... والبطانة صفى الرجل يكشف له عن أسرارها) [3].

(.. وتستعار البطانة لمن تختصه بالإطلاع على باطن أمرك، قال عزوجل: (لا تتخذوا بطانة من دونكم).. أي مختصاً بكم، يستبطن أموركم، وذلك استعارة من بطانة الثوب بدلالة قولهم، لبست فلاناً: إذا اختصته، وفلان شعاري ودياري.. وروي عنه (ص): (ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه) [4].

ولكي يزداد القادة السياسيون والدينيون والاجتماعيون، وكذا المصلحون والمستضعفون وغيرهم وعياً وثقافة تشخيصية بمن يتخذونه بطانة ومستشاراً ومشاركاً في الرأي والقرار، ومن يشارك في صناعة القرار السليم.. استعرض القرآن على مدى مسيرة الأنبياء.. وتجارب الأمم.. دور الملأ والبطانات الذين اعتمدتهم مع الطغاة والمستكبرين. وسمى حواشي ومستشاري الطغاة والمستكبرين والطبقة المتنفة في المجتمع (بالملا).

والدراسة الميدانية لدور الملا، الطبقة المتنفة، هم: (الحواشي والبطانات).. تظهر في عصرنا الحاضر أن لها دوراً كبيراً في صنع القرارات والتأثير على القيادات ومراكز صنع القرار.. لذلك عملت دوائر المخابرات العالمية على زرع وصناعة الحواشي والبطانات التي تؤثر من خلالها في القرار والموقف.. ويشهد خطر بعض الحواشي والبطانات المدربة على التخطيط للإيقاع بالقيادات والسيطرة عليها، بل وتجريدها من دورها بشتى الوسائل.. ولو بدفعها إلى المواقف التوريطية السيئة.. وأن أخطر ما يمارسه الملا - البطانات والحواشي - هو الإطراء والمديح والإغراء إلى حد التآليه والأوحدية، وحجز المعلومات الصحيحة، وتحسين القبيح وتقبيح، الحسن، وتقديم المعلومات الكيدية الكاذبة على المخلصين وتشويه صورتهم.. وكثيراً ما تكون هذه الطبقة الحواجز النفسية والموضوعية وتمنع منها جداراً عازلاً يشبه السجن ولا يستفيق كثير من صناع القرار إلا بعد فوات الأوان واشتداد الأزمات.

واستعرض القرآن نماذج من مواقف أولئك الملا.. تلك الطبقة المتنفة في المجتمع وصنع القرار واستعراض مواقفها من الذين يتصدون لحركة الإصلاح والتغيير ودعوة الحق والهدى.

من أمثلة ذلك قوله تعالى:

(لَقَدْ دُورُ سَلَانَا نُوْحًا إِيْلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنَّ زَيْدَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّ زَيْدًا لَّخَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الأعراف/ 60-59).

(فَقَالَ الْمَلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بِشَرًّا مَّيْثَلًا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّىَّ وَآتَانِى رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَّتْ عَلَيْهِمْ كُمْ أَنْزِلُنَا مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) (هود/ 27-28).

(وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّنَا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولُ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَبَلَاغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّى وَأَنَا نَذَارٌ لَّكُمْ نَصِيحٌ أَمِينٌ) (الأعراف/ 65-68).

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ * وَادُّكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُھُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَدُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلَأُ السَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِيَمَنَ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْتَلَمُونَ أَلَنْ صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّنْ رَبِّىَّ قَالُوا إِنْ نَّاسَا بِمَا أُرْسِلَ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) (الأعراف/ 73-75).

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبِيعُوا هُودًا وَإِذْ كُنْتُمْ فِي قُلُوبِ الْفُلِ فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُرْسِلَتْ بِهِمْ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ السَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

مَعَكُمْ مِنْ قَرِيبٍ نَذِيرًا أَوْ لَتَتَعُودُنَّ فِي مِلَّةِ نَذِيرًا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَاحِلٍ مِنْهَا لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَ رَبِّهِمْ أَتَدْعُونَهُمْ إِلَى أَنْ يَنْبَغِ لَهُمْ أَلَيْسَ لِرَبِّهِمْ آيَاتٌ لِقَوْمٍ كَذَبُوا؟ أَلَيْسَ لَهُمْ نَارُ يُنَادُونَ لِلَّهِ لَمَّا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَرَبُّنَا اللَّهُ عَلَى الْأَسْبَابِ ثُمَّ اتَّخَذُوا آلَهُ الْإِنسَانِ آلِهَةً مَعَ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحْضِرَ اللَّهُ حَافَظًا عَلَيْهِمْ فَأَنزَلَهُمْ إِلَى السُّجُودِ إِنَّهُمْ كَانُوا ثَائِبِينَ بَدَأَ الْإِنسَانُ ثُمَّ عَلَّمْنَاهُ سُبْحَانَ الْإِنسَانِ لَعَنَ الْإِنسَانُ ثُمَّ عَلَّمْنَاهُ رَبَّيْنَاهُ وَلَعَنَ الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَفَرًا وَسَافِرًا أَتَاهُ الرُّسُلُ فَضَلَّ عَنْهُمْ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَا لَبِثُوا مُخَلَّيْنِمْ إِلَّا لَأْوَاعِكُمْ فِي سُورٍ كَانُوا فِيهَا لَا يَتَذَكَّرُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَيُصِيبُنَّ أَزْوَاجٌ مُشَابِهَاتٍ لَهُمْ فِي السُّجُودِ وَإِلَى الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخًا وَاحِدًا وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ آلَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَيُصِيبُنَّ أَزْوَاجٌ مُشَابِهَاتٍ لَهُمْ فِي السُّجُودِ وَإِلَى الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخًا وَاحِدًا وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ آلَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَيُصِيبُنَّ أَزْوَاجٌ مُشَابِهَاتٍ لَهُمْ فِي السُّجُودِ وَإِلَى الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخًا وَاحِدًا وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ آلَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (الأعراف/ 85-92).

(وَقَالَ الْأُمَمَلَاءُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فِرْعَوْنُ أَتَدْرُسُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَدِّسُ لَكَ أَبْنَاءَهُمْ وَأَسْوَءَ نِسَائِهِمْ وَإِنَّا نَكُونُ فَاعِلُونَ) (الأعراف/ 127).

(وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْأُمَمَلَاءَ يَأْتُونَكَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُتَلَوٍّ فَأَخْرُجْ إِنْ نَبِيَّ لَكَ مِنَ النَّاسِ صَاحِبِينَ) (القصص/ 20).

(وَقَالَ الْأُمَمَلَاءُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَتَّخَفْنَا نِسَاءَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهَذَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْتِيَ كُلُّ مِمَّا تَأْتُوا كُلُّوْنَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَكُنْتُمْ فِي سَبِيلٍ مُضِلٍّ) (المؤمنون/ 33-34).

(وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْأُمَمَلَاءُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّاعُونَ * وَإِلَى اللَّهِ مُوسَى وَنَبِيُّ الْأَطْطَانِ مِنْ الْكَافِرِينَ) (القصص/ 38).

لنقف أمام هذه المجموعة من البيانات القرآنية ولنحاول دراستها وتحليل مضامينها لنزداد وضوحاً بهذه الظاهرة.. فقد بدأ القرآن حديثه عن دور الملأ المواجه لنوح (ع) ومواجهته لدعوة التوحيد والتأليب عليه، وكانت النتيجة أن حالوا بين الدعوة الإلهية ومشروع الإنقاذ الرسالي وبين ذلك الجيل.. فقادهم إلى الهلاك والدمار.. فقد كانت مصالحهم وسلطتهم مرتبطة بذلك الوضع الجاهلي، لذلك

كانوا يعارضون التغيير المنطلق من التغيير العقيدي والإيماني.. ويصرون ويحرضون ضد دعوة التوحيد، تلك الدعوة الإصلاحية.. ويثرون الشكوك والشبهات ويقنعون الاتباع بذلك.

وبهذا الاتجاه يتحرك المملأ في الأجيال التي تلت جيل نوح (ع).. يتحرك المملأ في قوم عاد.. يتحركون ضد النبي هود (ع) ويتهمون هذا النبي المصلح بأنه ينطلق من سفاهة وأكاذيب ليقنعوا مجتمعهم بالإبقاء على سلطانهم ومكانتهم التسلطية.. وانتهت مرحلة الصراع بالانتقام من هؤلاء المتسلطين ومن تابعهم.. وهكذا جنى المملأ.. جنى المتسلطون والمتنفذون على من تابعوهم بالهلاك والدمار، كما حل بمن سبقهم من قوم نوح على أيدي المملأ أيضاً.. وينتهي دور هذه الأمة.. أمة عاد.. وتحل محلها أمة ثمود.. ويبعث الله سبحانه صالحاً (ع) نبياً لهم.. وينطلق بدعوة الإصلاح والإيمان ويذكرهم بفضل الله، وما وهبهم من أسباب العيش الرغيد.. من المزارع والسهولة الخصبة والقصور والبيوت الفارحة.. فيواجهه المملأ المستكبر.. ويحشد الناس ضده، وضد من آمن معه من المستضعفين.. فيسجل القرآن مقاتلتهم بقوله:

(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَلَحًا مَّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ) (الأعراف/ 75).

وما كان حال هذه الأمة من الناس إلا كحال من سبقها.. إذ قادها المملأ المستكبر إلى إعلان الحرب على دعوة الهدى والإصلاح.. فكانت عاقبتهم الخراب والدمار والفناء.. ويأتي دور أمة أخرى، أمة مدين، ويرسل الله سبحانه إليهم شعيباً (ع) نبياً مصلحاً ناصحاً.. يعمل جاهداً لإنقاذهم ومحاربة الفساد والعبث الاجتماعي فيتصدى طاوور المملأ لدعوة النبوة والإصلاح، ويقطعون عليهم الطرق والآفاق، ويحرضون ضد النبي شعيب (ع) وضد المستضعفين الذين اتبعوه.. ويتحدث القرآن عن طاغية التأريخ فرعون وملئه ودور هذا المملأ في محاربة الدعوة الإلهية، وتأليه فرعون، بل والتأمر على موسى (ع) فيخاطبهم فرعون بقوله: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّاعُوا) (القصص/ 38).

إنهم يتجاوبون مع دعوة التأليه البشري، بل ويحرضون فرعون على قتل موسى (ع) ويصورونه خطراً يجب التخلص منه.. (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) قَالَ سَنُعَذِّبُكَ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَخَذِّي نَسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ) (الأعراف/ 127).

(قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) (الأعراف/ 109-110).

وكما تحدث القرآن عن الملأ ودورهم في إسناد الظلم والظالمين وتثبيت عروش الطغاة، ومحاربة دعوة الحق والإصلاح.. تحدث عن بطانة السوء.. عن الخاصة التي تحيط بأصحاب النفوذ والقرار والسلطة.. وحذر من أن يتسلل إلى مركز قرار الأمة (الأمة المسلمة) أحد من أعدائها وخصومها.. وهاهو القرآن يصف هذا الصنف من الناس بعد أن نهى عن فسح المجال لهم.. جاء ذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَن دُونَكُمْ لَا يَأْلُؤَنَكُمْ خِيَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوََاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّضْنَا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * أَلَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَنْهُ قَالُوا عَلَيْهِمْ أَلْزَامُ الْإِيمَانِ) (آل عمران/ 118-119).

إنه ينهى عن اتخاذ البطانات، وعن المستشارين والمقربين والمحسوبين على القيادات ومراكز صنع القرار من غير المؤمنين المخلصين؛ جاء نهى القرآن عن اعتماد غير المسلمين المخلصين بطانات ومستشارين ومخططين لصنع القرار.

فإن هؤلاء يريدون الإضرار بالأمة والمبادئ والأوطان والمصالح والكيان السياسي.. ويعملون على الإضعاف والتخريب، وانهم ليضمرون العداوة والبغضاء.. وكثيراً ما يصدر عن هؤلاء من تصريح وتعبير عما تخفي صدورهم من العداوة والبغضاء للناس المخلصين، وما تخفي صدورهم ضد كيان الأمة العقيدى والسياسي ومصالحها ومنافعها.. ما تخفي صدورهم أعظم.. لذا يحذرنا القرآن من أن نخدع بهؤلاء الكذابين المتملقين الذين يظهرون لنا المحبة والتوافق.. وإذا خلوا إلى شياطينهم والتقوا فيما بينهم تفجرت نفوسهم حقداً وعداءً وغيظاً، لذا يضرب القرآن لنا المثل السائر عند العرب، للمُبَالِغِ بالحق والعداوة.. انه يعض الأنامل من الغيظ.. انهم لا يريدون أن يسمعوا حسنة للأمة المسلمة، ولا تقدماً ولا قوةً ولا عزةً ولا تأييداً ولا نصرة، فإن رأوا ذلك سيطر عليهم الحزن وساءت وجوههم.. وإن سمعوا بضعف أو تأخر أو أزمة أو مشكلة في كيان الأمة السياسي أو العقيدى أو الاجتماعى شمتوا وفرحوا.. وذلك مؤشر على عداثهم المستبطن.

إن القرآن يحذر من هؤلاء أن يتسللوا إلى مواقع السلطة والاستشارة وصنع القرار ويوصي بالصبر

الإيجابي.. الصبر المقرون بالعمل وتطهير الصفوف من هؤلاء الأعداء.. انّ القرآن يثقف اتباعه والمؤمنين ويحذرهم من ظاهرة الملاء، ويدعو إلى اتخاذ المؤمن الكفوء النزيه الذي يحفظ السر ويمحض النصيحة ويبذل قصارى جهده لأداء المهمة بوعي وإخلاص وتقوى وصبر.. يدعو لاتخاذ بطانة ومستشاراً..

إنّ مراكز السياسة والحكم ومواقع الزعامة والقيادة وصنع القرار في عالمنا اليوم يمارس فيه الملاء والبطانات المتنفة دوراً خطيراً في صنع القرار وتوجيهه حتى صار من القضايا المحسوبة في التعامل مع هذه القيادة أو الزعامة والرئاسة، فيُسأل عندما يراد تقييم القيادة وكيفية الوصول إليها، والحصول على إقناعها.. يُسأل من هم الأشخاص المؤثرون في قرار ذلك القائد أو المسؤول.. فيعمل المخططون وأصحاب المصالح، أو حتى الذين يهمهم صنع القرار السليم.. يعملون على التأثير على الملاء والحواشي والبطانات.. وكلّ حسب ما يريد ويستهدف لاستحصال القرار.. ولأصحاب المال الممول للسياسة، ولأصحاب النفوذ الاجتماعي والسياسي دور خطير في تشكيلة الملاء والحواشي والبطانات التي تخدم مصالحهم.. بل وبعض القيادات التي تسمح لها أخلاقها بالفساد الأخلاقي ترى الحواشي والبطانات المحيطة بها مليئة بهذا الصنف المتناسب مع هذه الأخلاقيات الفاسدة.. حواشي الرشاوى والتجسس والجنس المحرم.. إلخ.

وكم حمل القرآن على أولئك المفسدين من القيادات والزعامات وحواشيهم.. انّ الرسول القائد والهادي للرشاد يزيدنا وضوحاً في قوله النيّر: (وما بعثنا من نبي، ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحثه عليه).

وتلك الحقيقة التي يخبر بها النبي محمد (ص) هي حقيقة لها دلالات كبرى.. انّ بطانات الشر والسوء تحاول التسلل حتى إلى حواشي الأنبياء والصالحين من القادة.. لذا يجب الفرز بين نوعين من الحواشي والبطانات.. والقرآن الكريم والرسول العظيم محمد (ص) يزودنا بالوعي والثقافة القيادية لنحذر بطانة السوء وحواشي الشر، ونتخذ بطانة الخير والحواشي الخيرة الأمينة النزيهة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تخذع صانع القرار، وتعين على الخير والصالح، وتساعد على إضاءة البصيرة السياسية والاجتماعية والإنسانية لصنع القرار السليم.

وكم من شخصيات سياسية واجتماعية وأصحاب زعامة ورئاسة ضللتهم ودمرتهم الحواشي والبطانات النفعية والانتهازية.

ونقرأ بياناً آخر يزيدنا وعياً وثقافة وتقوى، وهو خطاب الإمام علي (ع) إلى مالك الأشر، واليه

على مصر حين خاطبه في كتابه إليه محذراً من بطانة السوء وداعياً إلى اتخاذ البطانة الصالحة.. جاء في كتابه (ع): "ان" شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الأثام فلا يكون لك بطانة، فانهم أعوان الأثمة، وأخوان الظلمة، وأنت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا إثمياً على إثمه: أولئك أخف عليك مؤونةً، وأحسن لك معونةً، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك ألفاً، فاتخذ أولئك خاصةً لخلواتك وحفلاتك، ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك، وأقلهم مساعدةً فيما يكون منك مما كرهه أوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع، والصق بأهل الورع والصدق؛ ثم رُضهم على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة"[5].

الهوامش:

[1] الراغب الاصفهاني/ مجمع مفردات الفاظ القرآن

[2] المعجم الوسيط

[3] المعجم الوسيط

[4] الراغب الاصفهاني / المصدر السابق

[5]- نهج البلاغة / ص702